عنـاصر اخرى مختلفة تتسم بشيء من الثبات، مثل العناصر الجغرافية. هذا البناء يضم جماعة من الناس متجانسة، او غير متجانسة، لا وجود لها خارج هذا البناء، ولا يمكن فهم سلوكهـا الا في اطار تفاعلها معه. ولكن الثابت، تاريخياً، ان الاقليات اليهودية المنتشرة في العالم كانت ترتبط بأنماط انتاجية وأبنية حضارية اختلفت باختلاف الزمان والمكان؛ فيهود اليمن، في القـرن التاسع عشر، كانوا يعيشون في مجتمع صحراوي قبلي عربي؛ اما يهود الولايات المتحدة الاميركية، في الوقت ذاته، فكانوا يعيشون في مجتمع حضاري ـ رأسمالي غربي. فاذا بحث المرء في العنصر المشترك بين يهود اليمن ويهود الولايات المتحدة الاميركية لوجـد انـه الدين اليهـودي وحسب، وهـو عنصر واحد ضمن عناصر عديدة تحدد سلوك اليهودي. فسلوك اليهودي اليمني كانت تحكمه عناصر البناء التاريخي العربي الذي يعيش فيه، تماماً كما كانت تتحكم في يهودي الولايات المتحدة الاميركية مكوّنات البناء التاريخي الغربي.

وتصور وجود تاريخ يهودي مستقل يؤدي الى نتيجتين:

اولاً: يتنافى هذا التصور مع الروح العلمية ويؤدي الى توجيه رؤية المؤرخ توجهاً خاطئاً؛ اذ ان الاحداث التاريخية الكبرى التي قررت مصير الاقليات اليهودية، مثل ظهور الدولة الاشورية، او الامبريالية الغربية، تقع خارج نطاق هذا التاريخ اليهودي، ولذا تصبح احداثاً هامشية ذات أهمية ثانوية، ثم يجري تفسير احداث هذا التاريخ من خلال عناصر ثانوية، أو وهمية، مثل رغبات اليهود ومدى اضطهاد الآخرين لهم، او عطفهم عليهم. ولذا نجد عبارات مثـل «وكان قورش الاخميني متسامحاً مع اليهود، فأعادهم الى بلادهم» أو «وبدأ اليهود يفكرون في تقليد الشعوب الاخرى لتصبح لهم حركتهم القومية ووطنهم القومي في فلسطين». وفي كل هذه العبارات يتم تفسير الاحداث التي تقع لليهود بالعودة الى تاريخهم وحسب، ويتم تجاهل البناء الاداري للامبراطورية الفارسية التي اعتمدت على الشعوب الموالية لها، أو ازمة الرأسمالية والنظام القيصري العام ١٨٨٢، أو ظهور الامبريالية الغربية التي كانت تحل مشاكل اوروبا، بما في ذلك المسألة اليهودية وذلك بارسالها الى الشرق «المتخلف».

ثانياً: هذا التصور التاريخي اليهودي لا يتنافى مع الروح العلمية وحسب، وانما يتنافى مع الروح الانسـانية. فهو يسقط عن اليهودي انسانيته كانسان عادي يتفاعل مع البيئة المحيطة به، يتأثر بها ويؤثر فيها، شأنه في هذا شأن كل اعضاء الجماعات الاثنية والدينية الاخـرى. فالقـوات الاشـورية، والبابلية، لم تكتسح الدويلتين العبرانيتين وحسب، وانما اكتسحت معظم الدويلات الارامية وغيرها؛ وازمة النظام القيصري لم تتسبب في مذابح ضد اليهود وحسب، وانما كانت لها آثار سلبية عميقة في قطاعات كثيرة من البرجوازية الروسية واعضاء الاقليات الاسلامية وخلافه. ان فكرة «تاريخ اليهود» تسقط انسانية اليهودي وتخلع عليه هالة اسطورية لا تاريخية، اذ تضعه خارج التاريخ الانساني العادي ـ وهذا هو جوهر الرؤية الصـهيونية والمعادية لليهود. وعلى هذا، ينبغي للباحث ان يتحدث عن تواريخ (وليس تاريـخ) الاقليـات اليهـوديـة في العالم، ليؤكد انتماء اليهودي الى بنيات تاريخية متعددة وليتسنى له فهم سلوك هذه الاقليات، فهماً حقيقياً، كأفراد حقيقيين، وكبشر، في ضوء العناصر التاريخية المتشابكة المختلفة التي تحدد هذا السلوك، وليس في ضوء انتمائها اليهودي الديني القومي الوهمي.